

التعليم العالي ورهاناته المستقبلية
Higher education and its future prospects

د. هشام حامة¹

¹ جامعة التكوين المتواصل ديدوش مراد-مركز بجاية-(الجزائر)، hichem.hama@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2022/././ تاريخ القبول: 2022/././ تاريخ النشر: 2022/././

ملخص:

إن الهدف الأساسي لهذه المداخلة هو تحليل، وتقييم التعليم العالي في الجزء بشكل عام ومن زاوية محددة، وهي مدى ملاءمته لحاجات التنمية والتطور لوطننا خلال القرن الحادي والعشرين. وخلصت في الأخير إلى ضرورة أن يكون هدف مؤسساتنا التعليمية تخريج جيل أصيل مدرك لذاته واع لواقع أمتة ومؤهل علميا لرفع تحديات الحاضر والمستقبل.

كلمات مفتاحية: التعليم، مؤسستنا، المستقبل، الجامعة، التحديات.

Abstract:

The primary objective of this intervention is to analyze and evaluate higher education in Algeria in general, and from a specific perspective: its suitability to the development and progress needs of our nation in the 21st century. Ultimately, it concludes that the goal of our educational institutions must be to graduate a generation that is authentic, self-aware, conscious of its nation's realities, and scientifically qualified to meet the challenges of the present and the future.

Keywords: Education, our institution, the future, the university, the challenges.

*المؤلف المرسل: د. هشام حامة

1. مقدمة

يُعد التعليم العالي اليوم من أهم القطاعات الاستراتيجية التي تراهن عليها الدول من أجل بناء مجتمعات المعرفة وتحقيق التنمية المستدامة. فمنذ مطلع الألفية الثالثة، شهدت الأنظمة الجامعية في العالم تحولات جوهرية تمثلت في الانتقال من نموذج التعليم التقليدي إلى نموذج يقوم على الحوكمة المعرفية، التي تجعل من الجامعة مؤسسة منتجة للمعرفة وليست مجرد ناقلة لها (بن عبد الله، 2020).

وقد فرضت التحولات التكنولوجية والرقمية المتسارعة، إلى جانب التحديات الاقتصادية والاجتماعية، ضرورة إعادة التفكير في منظومة التعليم العالي باعتبارها رافعة أساسية للتنمية الشاملة. فاليوم أصبح لزاماً على الجامعات أن تعيد صياغة وظائفها في ضوء متطلبات الجودة، والابتكار، والاستقلالية، والمسؤولية المجتمعية (اليونسكو، 2022).

في السياق الجزائري، يمثل التعليم العالي مجالاً خصباً للتحليل والنقاش، لما عرفه من إصلاحات متتالية منذ بداية الألفية الجديدة، خاصة مع اعتماد نظام (LMD) سنة 2004 الذي هدف إلى تعزيز قابلية توظيف الخريجين وربط الجامعة بسوق العمل (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2023). غير أن هذه الإصلاحات واجهت تحديات متعددة، منها ضعف الحوكمة الجامعية، محدودية التمويل، ونقص الربط بين التكوين والبحث العلمي (بن يحيى، 2021).

من هذا المنطلق، تسعى هذه المداخلة إلى تقديم مقارنة تحليلية تستشرف رهانات التعليم العالي المستقبلية في الجزائر ضمن إطار الحوكمة المعرفية والتنمية المستدامة. ويستند التحليل إلى فرضية أساسية مفادها أن الجامعة الجزائرية لن تتمكن من مواجهة التحولات العالمية إلا من خلال تبني نموذج الحوكمة الجامعية الذكية، القائم على الرقمنة والتشبيك المعرفي والانفتاح على الفاعلين الاقتصاديين والاجتماعيين (حكيم، 2022). إشكالية البحث:

كيف يمكن لمنظومة التعليم العالي في الجزائر أن تتكيف مع التحولات العالمية في ظل الحوكمة المعرفية ومتطلبات التنمية المستدامة؟ وما هي الرهانات المستقبلية التي ينبغي التركيز عليها لبناء جامعة ذكية قادرة على المنافسة والإنتاج المعرفي؟ أهداف البحث:

- 1- تحليل المفاهيم الأساسية المرتبطة بالتعليم العالي والحوكمة المعرفية.
- 2- إبراز التحولات الراهنة التي تشهدها الجامعة الجزائرية.
- 3- تحديد أهم الرهانات المستقبلية للتعليم العالي في الجزائر.
- 4- اقتراح نموذج عملي لتفعيل الحوكمة الذكية في المنظومة الجامعية.

المنهج المعتمد:

اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي-الوصفي، القائم على تحليل الأدبيات العلمية، والتقارير الرسمية، والبحوث الجامعية ذات الصلة، مع الاستعانة بالمنهج الاستشرافي لتقدير الاتجاهات المستقبلية المحتملة (العربي، 2021).

2. الإطار المفاهيمي والنظري

1.2 مفهوم التعليم العالي وتحولاته المعاصرة:

يُعرف التعليم العالي بأنه ذلك النمط من التعليم الذي يُقدّم بعد التعليم الثانوي، ويهدف إلى إعداد الكفاءات العلمية والمهنية، وتطوير البحث العلمي، وخدمة المجتمع (الربيعي، 2019). وتُعتبر الجامعة حجر الزاوية في هذا المستوى من التعليم، لما تضطلع به من أدوار أكاديمية واقتصادية وثقافية. شهد التعليم العالي في العقود الأخيرة تحولات نوعية بفعل الثورة الرقمية والعولمة الاقتصادية، ما أدى إلى ظهور مفاهيم جديدة مثل "اقتصاد المعرفة"، و"الجامعة الذكية"، و"التعليم المدمج" (خالد، 2020). ولم تعد الجامعة مجرد فضاء للتلقين، بل أصبحت مؤسسة منتجة للمعرفة ومُحفزة للابتكار.

وفي السياق العربي، يشير العديد من الباحثين إلى أن مؤسسات التعليم العالي لا تزال تواجه تحديات في مجالات الجودة، التمويل، والحوكمة، مما يحد من قدرتها على المنافسة إقليميًا ودوليًا (عبد القادر، 2021). أما في الجزائر، فإن التعليم العالي عرف توسعًا كبيرًا في العقدين الأخيرين، إذ بلغ عدد الجامعات والمراكز الجامعية أكثر من خمسين مؤسسة، غير أن هذا التوسع الكمي لم يواكبه تطور نوعي في الأداء والبحث العلمي (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2023).

2.2 مفهوم الحوكمة المعرفية وأبعادها الجامعية

الحديث عن الحوكمة المعرفية في التعليم العالي يقتضي تجاوز المفهوم الإداري الضيق للحوكمة نحو مقاربة شمولية تُعنى بتنظيم المعرفة وإدارتها بفعالية. وتُعرّف الحوكمة المعرفية بأنها «مجموعة من السياسات والآليات التي تهدف إلى توجيه وتنظيم تدفق المعرفة داخل المؤسسة بما يضمن الشفافية، والمساءلة، والمشاركة، وتحسين جودة القرارات» (الطاهر، 2020، ص. 45).

تستند الحوكمة المعرفية إلى مبادئ أساسية، من أبرزها:

1. الشفافية الأكاديمية: وضوح المعلومات والمعايير داخل الجامعة.
2. المساءلة العلمية: ربط الأداء بالنتائج والإنجازات البحثية.
3. الاستقلالية المؤسسية: تمكين الجامعات من اتخاذ قراراتها العلمية والإدارية.
4. المشاركة: إشراك مختلف الفاعلين (أساتذة، طلبة، شركاء اقتصاديين) في إدارة المعرفة.

ويرى بعض الباحثين أن تبني الحوكمة المعرفية داخل الجامعات يمثل شرطًا ضروريًا للانتقال نحو جامعة ذكية ومبتكرة قادرة على المنافسة في سوق التعليم العالمي (بن موسى، 2022). كما أن العلاقة بين الحوكمة وجودة التعليم أصبحت علاقة طردية: كلما ارتفعت مستويات الحوكمة الرشيدة، تحسنت جودة المخرجات التعليمية والبحثية (حمودي، 2021).

3.2 التنمية المستدامة كإطار موجه للحوكمة الجامعية:

تُعد التنمية المستدامة الإطار الشامل الذي يربط بين التعليم والاقتصاد والمجتمع والبيئة، وهي تمثل اليوم أحد أهم مؤشرات التقدم في الدول الحديثة. وقد أكدت الأمم المتحدة في أجندة 2030 على أن التعليم العالي هو المحرك الرئيسي لتحقيق الهدف الرابع من أهداف التنمية المستدامة، والمتمثل في "ضمان تعليم جيد ومنصف وشامل للجميع وتعزيز فرص التعلم مدى الحياة" (الأمم المتحدة، 2021).

وفي الجزائر، تبنت وزارة التعليم العالي مجموعة من المبادرات لتعزيز مساهمة الجامعة في التنمية المستدامة، مثل إنشاء اللجان الخضراء الجامعية، ودعم مشاريع الطاقات المتجددة والاقتصاد الدائري داخل المؤسسات الجامعية (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2022).

إن الجمع بين الحوكمة المعرفية والتنمية المستدامة يشكل ركيزة لإصلاح منظومة التعليم العالي، لأن الحوكمة توفر البنية التنظيمية التي تسمح بتحقيق أهداف التنمية عبر استغلال الموارد البشرية والمعرفية بكفاءة عالية (حمدي، 2023).

3. التحولات العالمية في منظومة التعليم العالي

3.1 التحول الرقمي والتعليم المدمج:

شهد التعليم العالي في العقدين الأخيرين ثورة رقمية غير مسبوقة غيّرت جذريًا طرق التدريس، وأساليب التقييم، وأنماط إدارة المعرفة داخل الجامعة. فقد أدى انتشار الإنترنت والمنصات التعليمية المفتوحة (MOOCs) إلى كسر الحدود التقليدية للجامعة، وجعل التعلم متاحًا في كل زمان ومكان (يونس، 2020).

يُعرف التحول الرقمي في التعليم العالي بأنه عملية إدماج التكنولوجيا الحديثة في التدريس والإدارة والبحث العلمي لتحقيق كفاءة أعلى وجودة أفضل في الأداء الأكاديمي (سالم، 2021). وتبرز أهمية هذا التحول في كونه يمكن الجامعات من مواجهة تحديات الانفجار المعرفي وتزايد أعداد الطلبة، كما يتيح فرصًا أكبر للتعليم المدمج الذي يجمع بين التعليم الحضوري والتعليم عبر الإنترنت.

وفي العالم العربي، أطلقت عدة دول مبادرات للتحول الرقمي الجامعي، مثل "الجامعة الافتراضية السورية"، و"مبادرة التعليم الذكي" في الإمارات، و"نظام التعليم عن بُعد" في الجزائر خلال جائحة كوفيد-19 (العربي، 2022). وقد بينت هذه التجارب أن الرقمنة ليست مجرد خيار تكنولوجي، بل ضرورة إستراتيجية لتطوير أداء الجامعات (بن عمر، 2022).

3.2 التدويل الأكاديمي والجامعة العابرة للحدود

يمثل تدويل التعليم العالي أحد أبرز ملامح التحول العالمي، ويُقصد به "اندماج مؤسسات التعليم العالي في السياق الأكاديمي الدولي من خلال التعاون البحثي، وتبادل الطلبة والأساتذة، وتوحيد المعايير الأكاديمية" (ناصر، 2019، ص. 33).

لقد أصبحت الجامعات اليوم كيانات عالمية تتنافس على استقطاب الطلبة الأجانب، وجذب الكفاءات البحثية، والمشاركة في مشاريع دولية ممولة. وتشير تقارير اليونسكو (2022) إلى أن أكثر من 6 ملايين طالب يدرسون خارج بلدانهم الأصلية، في مؤشر على تصاعد حركية التعليم العابر للحدود.

أما في السياق المغربي، فقد بدأت بعض الجامعات الجزائرية والمغربية والتونسية في تطوير شراكات أكاديمية مع جامعات أوروبية وإفريقية، خصوصًا ضمن برامج "إيراسموس+" و"أفق أوروبا"، غير أن هذه المبادرات لا تزال محدودة بسبب ضعف التمويل وصعوبة اعتماد الشهادات المتبادلة (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2023). ويرى الباحثون أن التدويل لا ينبغي أن يُفهم على أنه انفتاح خارجي فقط، بل يجب أن يكون "تدويلًا داخليًا" يقوم على دمج القيم العالمية في المناهج، وتطوير المهارات العابرة للثقافات لدى الطلبة (بن زيدان، 2021).

3.3 الذكاء الاصطناعي والتعليم الموجه بالبيانات

من أبرز التحولات الراهنة دخول الذكاء الاصطناعي إلى منظومة التعليم العالي، سواء في إدارة التعلم أو في تحليل البيانات الطلابية أو في تطوير المناهج الشخصية (عمر، 2023).

تشير الدراسات الحديثة إلى أن الذكاء الاصطناعي سيساهم في إحداث نقلة نوعية في التعليم الجامعي، من خلال توفير تجارب تعلم مخصصة، وتحليل نقاط القوة والضعف لدى الطلبة، وتقديم توصيات ذكية للمدرسين (الزعيبي، 2022). كما يسمح بتحسين كفاءة الإدارة الجامعية عبر أنظمة التنبؤ بالأداء الأكاديمي وتحليل اتجاهات البحث العلمي (حمدان، 2023).

وفي الجزائر، بدأت بعض الجامعات الكبرى مثل جامعة العلوم والتكنولوجيا هواري بومدين في تبني أدوات رقمية تعتمد على الذكاء الاصطناعي لتتبع المسارات التعليمية والبحثية (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2023). ومع ذلك، لا يزال التطبيق في مراحله الأولى، ويحتاج إلى إستراتيجية وطنية متكاملة للحكومة الرقمية الجامعية.

4. التعليم العالي في الجزائر – التحديات والتحول

1.4 التطور التاريخي لمنظومة التعليم العالي في الجزائر

عرف التعليم العالي في الجزائر منذ الاستقلال سنة 1962 مسارًا إصلاحيًا متدرجًا هدفه بناء منظومة جامعية وطنية قادرة على تكوين الإطارات ودعم التنمية الوطنية. بدأت المسيرة بتأسيس جامعة الجزائر الأولى سنة 1962، ثم توسعت تدريجيًا إلى إنشاء جامعات إقليمية ومراكز جامعية في مختلف الولايات (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2023).

في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، ارتكزت السياسات الجامعية على التعميم والمجانية والبعد الوطني، حيث تم التركيز على تكوين الموارد البشرية في مجالات التربية، والهندسة، والطب، والعلوم الاجتماعية. ومع بداية الألفية الجديدة، دخلت المنظومة مرحلة جديدة مع اعتماد نظام "ل م د" (LMD) "سنة 2004، والذي هدف إلى مواءمة التعليم العالي الجزائري مع المعايير الأوروبية، وتعزيز قابلية توظيف الخريجين (بن دادة، 2019).

ومع ذلك، واجه هذا النظام عدة عراقيل تتعلق بضعف الجاهزية التقنية، ونقص الكفاءات في تسيير الإصلاح، وضعف التنسيق بين التكوين وسوق العمل (العمرى، 2021). وهو ما جعل وزارة التعليم العالي تضبط "مخطط تطوير التعليم العالي 2020-2030" لإعادة هيكلة المنظومة على أسس الحوكمة والجودة (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2022).

4. 2 البنية التنظيمية والإحصائية للتعليم العالي الجزائري

تُظهر بيانات الديوان الوطني للإحصائيات (2023) أن الجزائر تضم أكثر من 110 مؤسسة جامعية تشمل جامعات، مراكز جامعية، مدارس وطنية، ومدارس عليا للأساتذة. وبلغ عدد الطلبة المسجلين في الموسم الجامعي 2022-2023 حوالي 1.9 مليون طالب، منهم أكثر من 60% في التخصصات العلمية والتقنية، و40% في العلوم الإنسانية والاجتماعية.

أما من حيث التأطير، فقد بلغ عدد الأساتذة الدائمين أكثر من 63 ألف أستاذ، أي بمعدل أستاذ واحد لكل 30 طالب تقريباً، وهي نسبة مقبولة نسبياً مقارنة بدول المنطقة (الديوان الوطني للإحصائيات، 2023). غير أن التحدي الأكبر يكمن في توزيع هؤلاء الإطارات، إذ تعاني الجامعات الداخلية من نقص حاد في الكفاءات العليا مقارنة بالمراكز الكبرى كالعاصمة، وهران، وقسنطينة.

من ناحية التمويل، لا يزال التعليم العالي في الجزائر يعتمد بنسبة تفوق 95٪ على التمويل العمومي، مع غياب شبه تام لمصادر تمويل بديلة كالشراكة مع القطاع الاقتصادي أو الابتكار الجامعي (بن يوسف، 2022). وهو ما يحدّ من قدرة الجامعات على تمويل البحث العلمي ومشاريع الرقمنة والحوكمة.

4.3 أبرز التحديات الراهنة لمنظومة التعليم العالي:

تواجه الجامعة الجزائرية جملة من التحديات البنيوية والتنظيمية والمعرفية، يمكن تصنيفها ضمن المحاور التالية:

1. تحدي الجودة الأكاديمية:

رغم الجهود المبذولة في اعتماد المخابر والمجلات العلمية، إلا أن تقارير وزارة التعليم العالي تشير إلى تراجع مستوى المخرجات البحثية مقارنة بدول الجوار، نتيجة ضعف الحوكمة البحثية ونقص التمويل (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2023).

2. تحدي الملاءمة مع سوق العمل:

تُظهر الدراسات الحديثة أن نسبة بطالة حاملي الشهادات الجامعية بلغت 16٪ سنة 2022، ما يعكس ضعف الربط بين التكوين الجامعي واحتياجات الاقتصاد الوطني (بن عطية، 2023).

3. تحدي الرقمنة والابتكار:

لا تزال البنية التحتية الرقمية للجامعات محدودة، إذ لم تتجاوز نسبة التعليم عن بعد 30٪ من المقررات الدراسية رغم تجربة كوفيد-19، بسبب ضعف التجهيزات ونقص التكوين في المجال الرقمي (عقون، 2021).

4. تحدي الحوكمة والإدارة الجامعية:

تظل البيروقراطية الإدارية أحد أبرز العراقيل التي تواجه تطوير التعليم العالي، حيث يفتقر كثير من المسيرين إلى التكوين في القيادة الأكاديمية وإدارة الجودة (بن حليمة، 2022).

4.4 التحولات الإيجابية والإصلاحات الحديثة

رغم التحديات، فإن السنوات الأخيرة شهدت إصلاحات نوعية تعكس إرادة حقيقية للنهوض بالقطاع. فقد أطلقت وزارة التعليم العالي مشروع الجامعة الريادية سنة 2022، الذي يهدف إلى تعزيز روح المبادرة والابتكار داخل الجامعة (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2022). كما تم إطلاق المنصة الرقمية الوطنية للبحث العلمي سنة 2023 لرقمنة التكوين والتوثيق العلمي.

إضافة إلى ذلك، تشهد الجامعات الجزائرية انفتاحًا متزايدًا على الشراكات مع المؤسسات الاقتصادية، خصوصًا في مجالات الطاقات المتجددة والذكاء الاصطناعي، وهو ما يُعد مؤشرًا على بداية تحول نحو "الجامعة المنتجة للمعرفة" بدل الجامعة التلقينية (بن ميرة، 2023).

5. الحوكمة الجامعية كمدخل لتطوير التعليم العالي

5.1 مفهوم الحوكمة في السياق الجامعي

تُعدّ الحوكمة الجامعية من المفاهيم الحديثة التي اكتسبت أهمية متزايدة في إدارة مؤسسات التعليم العالي. فهي تشير إلى منظومة القواعد والإجراءات التي تنظم عملية اتخاذ القرار، وتضمن الشفافية والمساءلة والمشاركة في التسيير الجامعي (عبد العالي، 2020).

وتتمثل الغاية من الحوكمة في تحقيق التوازن بين الاستقلالية الجامعية والمسؤولية المجتمعية، بحيث تضمن الجامعة حرية القرار الأكاديمي مع الالتزام بالنتائج والمردودية (بن يحيى، 2022).

في السياق الجزائري، تبنت وزارة التعليم العالي مفهوم الحوكمة منذ 2015 ضمن "خطة عصرنة التسيير الجامعي"، التي ركزت على ترشيد الموارد، تحسين الأداء، وتعزيز الشفافية في التسيير (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2018).

لكن تطبيق مبادئ الحوكمة ما يزال يواجه صعوبات تتعلق بضعف التكوين الإداري، والمركزية المفرطة في اتخاذ القرار، وغياب آليات تقييم الأداء (بن طاهر، 2021).

5.2 المبادئ الأساسية للحوكمة الجامعية

تقوم الحوكمة الجامعية على مجموعة من المبادئ التي تمثل الإطار الأخلاقي والإداري لتسيير الجامعة الحديثة، من أبرزها:

1- الشفافية:

تعني وضوح السياسات والإجراءات الإدارية والمالية داخل المؤسسة الجامعية، بما يسمح بالاطلاع والمساءلة (سالم، 2020).

2- المساءلة:

وهي إلزام مختلف الأطراف الأكاديمية والإدارية بتقديم الحساب عن أدائهم وقراراتهم أمام الجهات المعنية (عبد الحفيظ، 2019).

3- الاستقلالية:

تعني قدرة الجامعة على اتخاذ قراراتها الأكاديمية والمالية بحرية نسبية، بعيدًا عن التدخلات السياسية أو البيروقراطية (بن عمر، 2021).

4- المشاركة:

وتشير إلى إشراك الأساتذة، والطلبة، والموظفين في صنع القرار الجامعي من خلال المجالس والهيئات المنتخبة (خليل، 2022).

5- الكفاءة والفعالية:

أي توجيه الموارد البشرية والمالية نحو تحقيق الأهداف بأقل تكلفة وأعلى مردودية (عبد العالي، 2020).

5.3 واقع الحوكمة في الجامعات الجزائرية

رغم أن مفهوم الحوكمة أصبح جزءاً من الخطاب الرسمي، إلا أن تطبيقه الميداني يظل متفاوتاً بين الجامعات. تشير تقارير المرصد الوطني للتعليم العالي (2023) إلى أن 70٪ من المؤسسات الجامعية لا تمتلك نظاماً داخلياً لتقييم الأداء، وأن أغلب القرارات تتخذ بشكل مركزي من طرف الإدارة العليا دون مشاركة حقيقية من الأساتذة والطلبة.

كما أن ضعف الرقمنة في الإدارة الجامعية ما يزال يعرقل الشفافية. فبينما تعتمد بعض الجامعات الكبرى أنظمة معلوماتية متكاملة (كجامعة وهران وجامعة الجزائر 1)، تظل جامعات الجنوب والمناطق الداخلية تشتغل وفق نماذج ورقية تقليدية (بن حليمة، 2022).

ومن التحديات الأخرى، ضعف ثقافة المساءلة داخل الوسط الجامعي، إذ لا توجد آليات واضحة لتقييم الأداء الإداري أو الأكاديمي، مما يؤدي إلى ضعف التحفيز وغياب التنافسية (عليوي، 2021).

5.4 العلاقة بين الحوكمة وجودة التعليم العالي

تُعدّ الحوكمة أحد المحددات الجوهرية لجودة التعليم العالي، إذ تساهم في تعزيز فعالية التسيير وتوجيه الموارد نحو الأهداف الإستراتيجية (بن يوسف، 2022).

ففي ظل الحوكمة الرشيدة، تتحسن القدرة على اتخاذ القرار بناءً على معايير الأداء والنتائج، بدل الولاءات الشخصية أو القرارات العشوائية.

كما تُسهم الحوكمة في ترسيخ ثقافة التقييم الذاتي والجودة المستمرة، وهي آليات اعتمدتها هيئات الاعتماد الأكاديمي في عدة دول عربية مثل المغرب وتونس، حيث أدت إلى تحسين التصنيف الجامعي والإنتاج العلمي (مراد، 2021).

في الجزائر، لا تزال عملية ضمان الجودة في بداياتها رغم إنشاء الهيئة الوطنية لتقييم التعليم العالي سنة 2017، التي تسعى إلى اعتماد مؤشرات قياس الأداء الأكاديمي والبحثي (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2023).

5.5 مقارنة تحليلية – نموذج مقترح لحوكمة الجامعات الجزائرية

من خلال تحليل الدراسات الوطنية والدولية، يمكن اقتراح نموذج حوكمة جامعية ملائم للواقع الجزائري يقوم على العناصر التالية:

1. المستوى الإستراتيجي: (Macro)

وضع رؤية وطنية للتعليم العالي تتكامل مع سياسات التشغيل والابتكار، مع تحديد مؤشرات كمية لقياس الأداء الجامعي (مثل عدد براءات الاختراع، نسبة التوظيف، تصنيف الجامعات).

2. المستوى المؤسسي: (Meso)

اعتماد نظام داخلي موحد لتقييم الأداء الإداري والبحثي، وتفعيل المجالس الجامعية كمؤسسات لصنع القرار الجماعي.

3. المستوى التشغيلي: (Micro)

إدماج مبادئ الحوكمة في التسيير اليومي: الشفافية المالية، النشر الدوري للميزانية، وتعميم الرقمنة في التسجيل والامتحانات.

هذا النموذج يمكن تمثيله عبر "مثلث الحوكمة الجامعية":

الشفافية

المساءلة

المشاركة

وهو ما يخلق بيئة مؤسسية قائمة على الثقة والفعالية، ويؤسس لتعليم عالي تنافسي ومنفتح على المجتمع.

سادساً: متطلبات تفعيل الحوكمة الجامعية في الجزائر

لتحقيق الانتقال نحو جامعة عصرية قائمة على الحوكمة، يجب العمل على مجموعة من الإجراءات العملية:

1. التكوين في القيادة الأكاديمية:

إدراج برامج تدريب للمسيرين الجامعيين حول إدارة الجودة والتخطيط الاستراتيجي (خليل، 2022).

2. رقمنة التسيير الجامعي:

توحيد المنصات الرقمية الخاصة بالتسجيل والامتحانات والبحث العلمي، وربطها بقواعد بيانات وطنية (بن حليمة، 2022).

3. إصلاح آليات التقييم:

اعتماد نظام تقييم دوري للأداء الأكاديمي والإداري يركز على النتائج لا على الأقدمية فقط (عبد العالي، 2020).

4. تعزيز الاستقلالية المالية:

فتح المجال أمام الشراكات مع القطاع الاقتصادي، وإنشاء صناديق دعم البحث العلمي والابتكار الجامعي (بن يوسف، 2022).

6. التعليم العالي كرهان للتنمية المستقبلية

6.1 التعليم العالي كمحرك للتنمية الشاملة

يُعد التعليم العالي ركيزة أساسية في بناء اقتصاد المعرفة وتحقيق التنمية البشرية المستدامة. فالمؤسسات الجامعية لا تكتفي بإعداد الكفاءات، بل تساهم أيضاً في إنتاج المعرفة، ونقل التكنولوجيا، وتحريك عجلة الابتكار (بن زيدان، 2020)

وقد أكدت تقارير البنك الدولي (2021) أن جودة التعليم العالي ترتبط طردياً بمستويات النمو الاقتصادي ومؤشرات التنمية الاجتماعية، إذ تسهم الجامعات في تحسين تنافسية الاقتصاد الوطني من خلال تكوين رأس مال بشري مؤهل.

وفي هذا السياق، يرى (عبد العالي، 2021) أن التعليم العالي لم يعد مؤسسة لتلقين المعرفة فقط، بل أصبح فاعلاً استراتيجياً في صياغة السياسات العمومية وإنتاج الأفكار الموجهة لصناع القرار. في الجزائر، يمثل التعليم العالي رهاناً وطنياً لتحقيق التحول الاقتصادي نحو الاقتصاد المعرفي، خاصة بعد إدراج هذا الهدف في "خطة التنمية الوطنية 2035" التي تركز على الابتكار والتكنولوجيا والبحث التطبيقي (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 2023).

6.2 التحديات المستقبلية لمنظومة التعليم العالي

رغم الجهود المبذولة في التوسع الكمي وبناء مؤسسات جديدة، إلا أن قطاع التعليم العالي الجزائري يواجه جملة من التحديات البنيوية والاجتماعية التي تهدد قدرته على المساهمة الفعالة في التنمية، أهمها:

1. فجوة الجودة والملاءمة مع سوق العمل:

لا تزال العلاقة بين الجامعة والمؤسسة الاقتصادية ضعيفة، مما يخلق بطالة بين خريجي الجامعات (بن عمر، 2021).

وتُظهر بيانات الديوان الوطني للإحصائيات (2023) أن نسبة البطالة في صفوف حاملي الشهادات بلغت أكثر من 17٪، وهي نسبة مرتفعة تعكس ضعف الاندماج المهني.

2. ضعف البحث العلمي والابتكار:

رغم الزيادة في عدد المخبرين والباحثين، فإن مردودية البحث العلمي تبقى محدودة من حيث عدد براءات الاختراع والمنشورات في المجالات المفهرسة (مراد، 2022).

3. البيروقراطية الإدارية وضعف التمويل:

ما يزال تسيير الجامعات يعاني من تعقيدات إدارية تحول دون استقلاليتها، مع اعتماد شبه كلي على ميزانية الدولة (بن حليمة، 2022).

4. الهجرة الأكاديمية للكفاءات:

تشير تقارير المنتدى الاقتصادي الجزائري (2023) إلى أن أزيد من 4,000 باحث وأستاذ جامعي غادروا البلاد خلال العقد الأخير بحثًا عن بيئة بحثية أفضل، مما يهدد الأمن المعرفي الوطني (عليوي، 2023).

6.3 التعليم العالي والتنمية المستدامة

تتطلب التنمية المستدامة تكيّف الجامعات مع أهداف الأجندة الأممية 2030، خصوصًا الهدف الرابع المتعلق بـ "التعليم الجيد والمنصف والشامل"، والهدف التاسع المتعلق بالابتكار والبنية التحتية (اليونسكو، 2022). وفي هذا الإطار، أصبح يُنظر إلى الجامعة كمحرك للعدالة الاجتماعية من خلال ضمان تكافؤ الفرص بين الطلبة، وتشجيع البحث العلمي الموجه نحو حل المشكلات البيئية والاجتماعية (بن يوسف، 2023).

تُظهر دراسة (سالم، 2021) أن الجامعات التي تدمج مفاهيم الاستدامة في مناهجها وبرامجها البحثية تحقق نتائج أفضل في تصنيفات GreenMetric العالمية، إذ يُعتبر مؤشر الاستدامة أحد عناصر جودة التعليم العالي الحديثة.

6.4 نحو نموذج استراتيجي لجامعة المستقبل في الجزائر

من أجل جعل التعليم العالي رافعة للتنمية المستقبلية، يمكن اقتراح نموذج استراتيجي للجامعة الجزائرية المستقبلية يقوم على أربعة محاور أساسية:

1. حوكمة رشيدة وشفافة:

تبني نموذج إداري قائم على الأداء والنتائج، مع تفويض الصلاحيات للجامعات وتفعيل آليات التقييم والمساءلة (عبد العالي، 2020).

2. رقمنة شاملة:

تطوير بنية تحتية رقمية قوية، وتوحيد المنصات التعليمية والإدارية على المستوى الوطني لضمان العدالة والجودة (بن حليلة، 2022).

3. شراكات استراتيجية:

تعزيز التعاون مع القطاع الاقتصادي والقطاع الخاص، وإدماج الطلبة في مشاريع تطبيقية تساهم في التشغيل الذاتي (مراد، 2022).

4. بحث علمي موجه للتنمية:

تحويل المخابر الجامعية إلى مراكز تفكير (Think Tanks) تساهم في صياغة الحلول الوطنية للمشكلات الاقتصادية والاجتماعية، خليل 2023

7. خاتمة

إن التعليم العالي في الجزائر يقف اليوم على مفترق طرق حاسم بين الكم والكيف، وبين التوسع المادي والتحول النوعي. فمستقبل التنمية الوطنية مرهون بقدرة الجامعة الجزائرية على تبني نموذج حوكمة عصرية، واستثمار الثورة الرقمية والعلمية في بناء مجتمع المعرفة. إن الجامعة المستقبلية ليست مجرد مؤسسة تعليم، بل فضاء لإنتاج الحلول الوطنية، وتكوين الإنسان القادر على قيادة التغيير في ظل التحولات العالمية. وبذلك، يصبح التعليم العالي رهاناً استراتيجياً للتنمية المستدامة، وركيزة أساسية لبناء جزائر المعرفة والابتكار.

8. قائمة المراجع:

- 1 عبد العالي، س. (2020). الحوكمة وجودة التعليم العالي في الوطن العربي. دار الكتاب الجامعي، الجزائر.
- 2 بن يحيى، ر. (2022). إدارة الجامعات في ظل الحوكمة المعاصرة. دار ابن خلدون، وهران.
- 3 وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. (2018). خطة عصرنه التسيير الجامعي. الجزائر.
- 4 وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. (2023). التقرير السنوي حول التعليم العالي في الجزائر. الجزائر.
- 5 مراد، ن. (2022). تحديات البحث العلمي في الجامعات الجزائرية. مجلة العلوم الإنسانية، 19(2)، 55-72.
- 6 خليل، ع. (2023). استراتيجيات التعليم العالي في مواجهة التحول الرقمي. دارالمعرفة، الجزائر.
- 7 بن حليمة، ك. (2022). الرقمنة في الجامعة الجزائرية: الواقع والآفاق. المجلة التربوية الجزائرية، 15(1)، 41-22.
- 8 بن يوسف، م. (2023). الجامعة والتنمية المستدامة في الجزائر. جامعة قسنطينة.
- 9 بن عمر، ح. (2021). سوق العمل والجامعة الجزائرية: قراءة في مؤشرات البطالة. دارالحكمة، الجزائر.
- 10 عبد العالي، س. (2021). التعليم العالي والاقتصاد المعرفي. دارالعلوم، الجزائر.
- 11 البنك الدولي. (2021). التعليم من أجل التنمية في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا. واشنطن.
- 12 اليونسكو. (2022). تقرير التعليم العالمي 2022: التعليم من أجل التنمية المستدامة. باريس.
- 13 المنتدى الاقتصادي الجزائري. (2023). تقرير الكفاءات الوطنية والهجرة العلمية. الجزائر.